

تكتيكنا إزاء الانتفاضة المسلحة

بقلم: جوزيف ستالين

ترجمة: عز الدين بن عثمان الحديدي / راجعها ونقحها: الصوت الشيوعي

المرجع: ستالين، الأعمال الكاملة، المجلد ١، المنشورات الاجتماعية، ١٩٥٣.

إن الحركة الثورية قد «وصلت في الوقت الحاضر إلى ضرورة الانتفاضة المسلحة». هذه الفكرة التي صاغها المؤتمر الثالث لحزبنا تتأكد كل يوم أكثر فأكثر. إن شعلة الثورة تزداد اشتعالاً محدثة هنا وهناك انتفاضات محلية. ثلاثة أيام من حواجز قطع الطرق ومعارك الشوارع في لودز Lodz، إضراب عشرات وعشرات الآلاف من العمال في إيفانوفو Ivanovo–Voznessensk الذي أدى بالضرورة إلى مصادمات دموية مع الجيش، انتفاضة أوديسا، التمرد في أسطول البحر الأسود وفي صفوف فرق اللوجستيك في ليبو Libau، أسبوع تفليس: كلها علامات تنبئ بالإعصار المقبل. إنه يقترب بصفة لا مرد لها وسينفجر في أي لحظة في روسيا مقتلعا كل ما هو رجعي ومتعفن وسينظف الشعب الروسي من الأوتوقراطية، هذا العار الذي امتد منذ القدم.

إن آخر تشنجات القيصرية المتمثلة في تقوية مختلف مظاهر القمع، إعلان حالة الطوارئ في نصف البلد، مضاعفة وسائل التعذيب وفي نفس الوقت الترويج لخطاب مغر للبراليين ولوعود إصلاحية مزيفة – كل ذلك لن ينقذها من المصير الذي قرره لها التاريخ. إن أيام القيصرية أصبحت معدودة والإعصار قادم لا محالة. إن نظاما جديدا في طور المخاض يحظى بدعم الشعب كله الذي ينتظر منه التجديد والنهضة.

ما هي إذاً المهام الجديدة التي يطرحها الإعصار الدايم على حزبنا؟ كيف يمكننا ملائمة تنظيمنا وتكتيكنا مع المتطلبات الجديدة للحياة لكي نشارك بصورة أكثر نشاطاً وأكثر تنظيم في الانتفاضة نقطة الانطلاق الضرورية للثورة؟ بوصفنا الفصيلة المتقدمة من الطبقة التي تشكل لا فقط الطليعة بل القوة المحركة الأساسية للثورة، هل يلزمنا لقيادة الانتفاضة خلق أجهزة خاصة أم أن تنظيم الحزب الموجود حالياً يكفي لذلك؟ هذه الأسئلة كانت قد طرحت منذ عدة أشهر على الحزب وهي تتطلب حلاً عاجلاً. بالنسبة لأولئك الذين يسجدون أمام "العفوية"، الذين يرون أن أهداف الحزب تقتصر على إتباع سير الحياة، الذين هم في المؤخرة بدل السير في المقدمة كما يليق بفصيلة الطليعة الواعية، لا تطرح لديهم هذه الأسئلة. يقولون أن الانتفاضة عفوية ولا يمكننا تنظيمها أو تحضيرها وكل مخطط عمل مسبق هو بمثابة الطوباوية (إنهم ضد كل مخطط لأن ذلك يعد ظاهرة "واعية" وليست "عفوية") وإهدار غير مفيد للطاقات: إن الحياة الاجتماعية التي تتبع مسالك مجهولة ستقتل جميع مخططاتنا. وهكذا، إذا ما استمعنا إليهم، ينبغي أن نكتفي ببث الدعاية والتحريض لصالح فكرة الانتفاضة، فكرة "التسليح الذاتي" للجماهير والاكتفاء بتوفير "القيادة السياسية".

من سيريد قيادة الشعب المنتفض من الناحية "الفنية"؟ ألم نوفر إلى حدّ الآن هذه القيادة؟ يجيب معارضو "سياسة التذليل". لا شك أنه يجب القيام بعمل تحريضي ودعائي واسع وتوفير القيادة السياسية للبروليتاريا. ولكن الاكتفاء بمهام عامة كهذه يعني أننا نتجنب تقديم أية إجابة عن مسألة طرحتها الحياة مباشرة أو أننا عاجزون تماماً عن ملائمة تكتيكنا مع متطلبات النضال الثوري المتعاضم بسرعة قصوى. من البديهي أنه يجب علينا زيادة التحريض السياسي ومن واجبنا السعي إلى جذب لا فقط البروليتاريا تحت تأثيرنا ولكن أيضاً تلك الشرائح المتعددة "للشعب" التي تلتحق تدريجياً بالثورة. يجب علينا نشر في صفوف جميع طبقات الشعب فكرة ضرورة الانتفاضة. ولكننا لا نستطيع الوقوف عند هذا الحدّ. لكي تتمكن البروليتاريا من توظيف الثورة القادمة في سياق نضالها الطبقي ولكي تتمكن من إرساء نظام

ديمقراطي يساعد إلى أقصى حد النضال اللاحق من أجل الاشتراكية، يجب على البروليتاريا التي تجمع حولها المعارضة أن تتواجد لا فقط في قلب النضال بل أن تصبح مرشد وقائد للانتفاضة. القيادة التقنية والتحضير الملموس للانتفاضة في روسيا كلها، تلك هي على وجه الدقة المهمة الجديدة التي فرضتها الحياة على البروليتاريا. وإذا أراد حزبنا أن يكون القائد السياسي الفعلي للطبقة العمالية لا يمكنه ولا يجب أن يتملص من انجاز هذه المهام الجديدة.

ماذا ينبغي علينا أن نفعل إذن لبلوغ هذا الهدف؟ ما هي خطواتنا الأولى؟ الكثير من منظماتنا بدأت بحل المسألة عمليا بتخصيص جزء من قواها ووسائلها من أجل تسليح البروليتاريا. إن نضالنا ضد الأوتوقراطية قد دخل في مرحلة بحيث يقر الجميع بضرورة التسلح. ولكن الوعي بضرورة التسلح وحده لا يكفي: يجب أن تطرح المهمة العملية أمام الحزب بوضوح ودقة. لذلك يجب على لجاننا حالا ودون تأخير أن تشرع في تسليح الشعب على عين المكان وخلق جماعات متخصصة للقيام بذلك وتنظيم جماعات محلية للحصول على الأسلحة وإقامة ورشات لصناعة المتفجرات ووضع مخطط للسيطرة على مخازن أسلحة عمومية أو خاصة وأنظمة أسلحة. ليس من واجبنا فقط تسليح الشعب "بالرغبة القوية في التسلح" كما تشير علينا جريدة الأوسكرا الجديدة بل يجب علينا أن نتخذ عمليا «الإجراءات القصوى من أجل تسليح البروليتاريا» كما ألزمنا بذلك المؤتمر الثالث للحزب. يمكننا التوصل بسهولة إلى اتفاق حول هذه المسألة مقارنة بمسائل أخرى وذلك مع الجناح المنشق عن الحزب (طبعاً إذا أخذوا مسألة التسلح بجدية ولم يكتفوا بالثرثرة حول "الرغبة القوية في التسلح") نفس الشيء بالنسبة للمنظمات الاشتراكية الديمقراطية القومية مثل الفدراليين الأرمن وغيرهم الذين يتبنون نفس الأهداف. إن محاولة في هذا الاتجاه قد جرت في باكو حيث قامت لجنتنا (Balakhany-Bibi-Eibat) ولجنة (gntchakistes) بتكوين هيئة لتنظيم عملية التسلح.

يجب مهما كان الثمن تنظيم وتجميع الجهود لانجاز هذه المهمة الهامة والخطيرة، ونحن نعتقد أن الخلافات بين الأجنحة لا ينبغي خاصة أن تحول دون توحيد جميع قوى الاشتراكيين الديمقراطيين على هذه القاعدة. وبالتوازي مع زيادة تخزين السلاح وتنظيم البحث وصناعة الأسلحة في المصانع، يجب أيضا الاهتمام بجدية قصوى بتكوين شتى لجان المعارك التي ستستخدم الأسلحة المتحصل عليها. لا ينبغي بأي حال السماح بتصرفات من نوع توزيع الأسلحة مباشرة إلى الجماهير. لن ننجح في تسليح شرائح هامة من السكان نظرا لضعف مواردنا وصعوبة إخفاء الأسلحة عن البوليس وستذهب جهودنا سدى. وسيكون الأمر مختلفا تماما إذا ما أسسنا منظمة خاصة للمعارك. سنتعلم لجان المعارك التابعة لنا استخدام الأسلحة وستبرز خلال الانتفاضة، سواء اندلعت بصفة عفوية أو وقع تحضيرها مسبقا، بوصفها الفصائل الطليعية الأساسية التي سيلتف حولها الشعب المنتفض الذي سيخوض المعركة تحت قيادتها. بفضل تجربتهم وروح التنظيم لديهم وكذلك تسلحهم الجيد، سيتمكنون من استخدام كافة قوى الشعب المنتفض وبذلك يتحقق هدفنا المباشر والمتمثل في تسليح الشعب بكامله وانجاز مخطط العمل الذي وضعناه سلفا. سيسيطرون بسرعة على مخازن الأسلحة والمؤسسات العمومية والحكومية والبريد ومراكز الهاتف، الخ. وكل ما هو ضروري لتحقيق التقدم اللاحق للثورة. ولكن لجان المعارك هذه ليست ضرورية فقط عندما تنتشر الانتفاضة الثورية في كامل المدينة بل إن دورهم لا يقل أهمية عشية الانتفاضة.

لقد حصلت لنا القناعة منذ ستة أشهر بأن الأوتوقراطية التي افتضحت أمام أعين كافة طبقات الشعب قد كرسست كل قواها لتحريك القوى الظلامية في البلاد: عصابات محترفة أو عناصر متعصبة من التتار لمحاربة الثوريين. يسلحهم ويحميهم البوليس من أجل ارهاب السكان وخلق مناخ صعب لحركة التحرر. يجب على منظماتنا العسكرية أن تكون دائما مستعدة للرد المناسب على جميع محاولات هذه القوى الظلامية وتحويل التنديد والمقاومة التي تثيرها أعمالهم الى حركة معادية للحكومة. إن لجان المعارك المسلحة التي تكون مستعدة في كل لحظة للنزول الى

الشارع من أجل قيادة الجماهير الشعبية ستكون قادرة بسهولة على تحقيق الهدف الذي وضعه المؤتمر الثالث والمتمثل في «تنظيم المقاومة المسلحة ضد المائة السود وبصفة عامة ضد كافة العناصر التي تقودها الحكومة» (قرار في التصرف إزاء تكتيك الحكومة عشية الثورة).

يجب أن تكون إحدى المهام الأساسية للجان المعارك التابعة لنا وبصفة عامة لكل تنظيم عسكري خاص، وضع مخطط للانتفاضة في كل حي يكون منسجما مع المخطط الذي سطره مركز الحزب بالنسبة لجميع روسيا. يجب تحديد نقاط ضعف الخصم ووضع نقاط انطلاق هجومنا وتوزيع القوى في الحيّ ودراسة هندسة المدينة بصورة مسبقة لكي لا نفاجئ بأي ظرف معرقل. ليس المجال مناسب هنا لتحليل مفصل لمظاهر نشاط تنظيماتنا. لكن يمكن القول بأن السرية القصوى في وضع مخطط نشاطنا ينبغي أن يكون مرفوقا بنشر واسع في صفوف البروليتاريا للمعارف العسكرية الخاصة الضرورية جدا لخوض معارك الشوارع. لهذا الغرض يجب علينا الاستعانة بالعسكريين المنتمين لمنظمتنا ويمكن لنا أيضا أن نستعين لهذا الغرض بعدد كبير من الرفاق الذين بحكم مهاراتهم واستعداداتهم الطبيعية سيفيدوننا في هذا المجال. وحده التحضير الواسع للانتفاضة يمكنه ضمان الدور القائد للاشتركية الديمقراطية في المعارك القادمة بين الشعب والأوتوقراطية. وحده التحضير الكامل للمعركة سيمكن البروليتاريا من تحويل الاشتباكات المنعزلة مع الشرطة والجيش إلى انتفاضة عامة للشعب لتعويض الحكومة القيصيرية بحكومة ثورية مؤقتة. على عكس ما يريده أتباع "سياسة التذيل" ستضع البروليتاريا جميع إمكانياتها لتركز بين أيديها القيادة الفنية والسياسية للانتفاضة وهذا الأمر ضروري لتمكيننا من استخدام الثورة القادمة لمصلحة صراعنا الطبقي.

نشر لأول مرة في:

النضال البروليتاري، عدد ١٠، ١٥ جويلية ١٩٠٥.